الباب الرابع

قالوا عن عرابى وثورته

رقم مشؤوم رافق أحمد عرابى حتى موته

يُضَرب المثل بالشؤم في الرقم 13، وأسباب كثيرة وراء التشاؤم، منها أن البعض يراه رمزاً ليهوذا الخائن الذى خان المسيح في قصة العشاء الأخير، حيث كان رقمه 13، لكن المسألة مع أحمد عرابي مختلفة.

كان الرقم 9 هو الرقم المنحوس في تاريخ عرابي وثورته، حيث اندلعت ثورة عرابي في يوم 9 من شهر 9 لعام 1881 م، لعرض مطالبه على الخديوي.

ورغم الاعتراض وافق الخديوي على مطالب عرابي، حتى تدخلت إنجلترا بالمذكرة المشتركة الأولى في 7 يناير سنة 1882 م، ليستقيل بعدها شريف باشا من رئاسة الوزراء احتجاجاً على قبول الحديوي توفيق لتلك المذكرة.

تغيرات سياسية شديدة عصفت بمصر عقب أحداث ثورة أحمد عرابي، حتى انتهت بفرمان السلطان العثماني في نفس يوم وشهر قيام حركة عرابي العسكرية لكن من عام 1882 م أى 9-9-1882 .

وأدى هذا الفرمان إلى خسران أحمد عرابي ظهير شعبي وديني لحركته العسكرية، أثرت لاحقاً على الحالة النفسية للجيش ومريدي أحمد عرابي في الشارع.

معركة التل الكبير

وبالتوازي مع ذلك كانت معركة التل الكبير في شهر 9 من عام 1882 م، وجرت الاحتلال على البلد قبل نهاية الشهر، حيث دخل الانجليز القاهرة ووصل الخديوي قصر عابدين بعد دخولهم بيوم.

أحمد عرابى وأسرته

وربما كان الرقم 9 يتسم ببعض الرأفة في أواخر حياة أحمد عرابي، حيث عاد من النفي في 30 سبتمبر سنة 1901 م، وأقام مع أنجاله بعمارة البابلي بشارع الملك الناصر المتفرع من شارع خيرت، بحي السيدة زينب.

لكن عودة عرابي إلى مصر وإن كانت شيئاً مبهجاً له، لكن جعلته يعيش متحسراً لدرجة أن اعتذر عن قيامه بحركة الجيش بعد عودته بشهر واحد، ولم يتحمل المسئولية ونظرات الناس فكان شهر 9 هو الفصل الختامي لحياة أحمد عرابي نفسه، حيث مات في 21 من شهر سبتمبر سنة 1941 م.

قالوا عن عرايى

يوسف زيدان يستعين بقصيدة لأحمد شوقى

كتب يوسف زيدان على صفحته الشخصية (فيس بوك) مقتطف من أبيات أحمد شوقى صغارٌ فى الذهاب وفى الإياب.. أهذا كل شأنك يا عرابي عفا عنك الأباعدُ والأدانى فمن يعفو عن الوطن المصاب، لدعم موقفه من الثورة العرابية، فى اشارة لشوقى وموقفه السلبى من ثورة عرابى، واستقبله بعد عودته من المنفى بقصيدة نشرت فى (المجلة المصرية) لصاحبها ومنشئها خليل مطران، العدد الثانى فى 15 يونيو 1901وقعها بإمضاء (نديم)، وفيها تشهير واستهزاء بعرابي وتطلعه ليكون ملكا على مصر.

وزعم يوسف زيدان فى منشور آخر على صفحته، مفادها أن التاريخ ملئ بالشوائب والمعلومات المغلوطة، والخوف من الاقتراب أو المساس به، حيث قال إذا كان إلقاء بعض الحصوات فى البحيرة الراكدة، العطنة ، يحدث هذه الحركة وهذا الفزع فماذا لو ألقينا أحجارا !.

يذكر أن الكاتب يوسف زيدان، أكد أن الزعيم الراحل أحمد عرابى كان سبباً لضياع الوطن ودخوله فى نفق مظلم واستعمار دام لأكثر من 70

عاما، مضيفاً أن المناهج الدراسية بها الكثير من الأخطاء، مثل وقوف أحمد عرابى أمام الملك، نافياً رؤية أحمد عرابى الخديوى توفيق.

الرأي الآخر في زعيم الثورة العرابية

ماذا قال محمد عبده والرافعي بحق أحمد عرابى؟

عرفنا من بعض كتب التاريخ أن أحمد عرابي هو قائد الثورة ضد الخديوي توفيق الذي ساعد على تفاقم النفوذ الأجنبي في مصر لكن بعض من عاصروا الثورة كان لهم رأي آخر في عرابي لا يخفي أحدهم إيمانة الشديد بالثورة العرابية أو إعجابه بشخصية قائدها لكنهم يحملوه في الوقت نفسه مسئولية فشل الثورة وسقوط مصر في يد الاحتلال الإنجليزي فماذا قال هؤلاء؟.

الإمام محمد عبده

عرابي يبحث عن النفوذ والسلطة فقد كان الإمام محمد عبده أحد أصوات الثورة العرابية، رآها وسيلة لتحقيق أفكاره الإصلاحية في المجتمع، وعندما فشلت الثورة بصورة لم يتوقعها أحد، دفع محمد عبده ثمن تأييده لها، فتم سجنه ونفيه خارج البلاد؛ وفقاً لما جاء بكتاب الأعمال الكاملة لمحمد عبده لد. محمد عمارة.

نحن الآن أمام رجل كان من أبرز مؤيدي الثورة العرابية، لكنه كان له رأي آخر في زعيمها، فقد كتب في سجنه قصيدة طويلة يحكي فيها عن أحداث الثورة وتأييد جميع أطياف الشعب لها، ثم الهزيمة المروعة بسبب ما حدث من تخاذل وخيانة قادتها.

وقائد الجند وافانا بلحيته ... يسيل رعبا وثوب العار كاسيه

وسلم السيف واستجدى بغفلته .. عفوا من الحَنِق المغزو خديويه

تخوف الذل واستدعى مطيته .. ركضا إليه فوافاه موافيه

يشكك بعض المؤرخين في وقفة عرابي أما الخديوي توفيق وقوله: لقد خلقنا الله أحرار ولن نستعبد بعد اليوم

محمد عبده يرى في عرابي رجلاً يخاف على حياته ومركزه، فلم تكن الثورة هي همه الحقيقي بقدر المكانة والمنصب أما عرابي فلم يكن يخطر في باله ولا يهتف به في منامه أن يطلب إصلاح حكومة أو تغيير رئيسها، وإنما الذي أحاط بفكره هو الخوف على مركزه ولم يكن له هم سوى التغلب على ما كان بيد الجراكسة من الوظائف العسكرية للتمتع بما يتمتعون به من رواتب ونفوذ، لأنه هو وإخوانه أبناء البلاد أحق من غيرهم بمزاياها الخاصة كانت هذه كلمات محمد عبده وفقاً لما جاء بكتاب تاريخ الأستاذ الإمام لمحمد رشيد رضا.

السياسي أحمد شفيق باشا :لم يكن زعيما وطنيا

لم تكن مطالب أحمد عرابي في البداية إذًا مطالب شعبية، بل نشأت بسبب سخط ضباط الجيش المصريين بسبب التفرقة بينهم وبين الضباط الأتراك والشراكسة في الترقيات بهذه الكلمات يتفق السياسي المصري أحمد شفيق باشا مع رأي محمد عبده في عرابي وذلك في كتابه مذكراتي في نصف قرن.

عرابي استطاع أن يجمع حوله أفراد الجيش المصري، ونجح في المظاهرة العرابية الأولى التي انتهت بوعد الخديوي توفيق بالترقيات وزيادة مرتبات الضباط وتشكيل مجلس النواب.

ولأن العرابيين خافوا من بطش الخديوي وعلموا بنيته في التراجع عن هذه القرارات، فقد عملوا على أن يستميلوا الرأي العام، ويحولوا حركتهم إلى حركة وطنية، وتحولت مطالب عرابي إلى عالم السياسة ورفض النفوذ الأجنبي.

عرابي أصابه الغرور

السياسي المصري الذي عاصر الثورة يقول أن عرابي من هذه اللحظة أصابه الغرور الذي خيل إليه أنه يستطيع بمفرده مواجهة دولتين مثل فرنسا وإنجلترا ففشلت الثورة.

فاضت نفس عرابي غرورا وكِبرا وثقة، واعتقد أنه زعيم مصر الأكبر وخُيل إليه لما له من قوة يستمدها من التفاف الجيش حوله أنه قد غدا صاحب الكلمة النافذة وأن إليه مرجع الأمر كله دون الخديوي وحكومته كانت هذه كلمات أحمد شفيق في كتابه مذكراتي في نصف قرن.

هذه الثقة الزائدة يلمح شفيق أنها كانت سببا في فشل الحركة العرابية يتابع في كتابه ولم يقف غرور عرابي عند حد حكومته بل رسخ في ذهنه أنه لا خوف عليه من وقوف فرنسا وإنجلترا في طريقه لما بينهما من منافسة في السياسة المصرية.

المؤرخ عبد الرحمن الرافعي

لا يخفي المؤرخ عبد الرحمن الرافعي إعجابه بالثورة العرابية كفكرة أو كحركة وطنية مقاومة للإنجليز، حتى إنه يفرد كتاباً كاملاً بعنوان «الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي الذي يؤرخ فيه للثورة ويحلل أسباب فشلها.

عرابي وعدم الكفاءة السياسية

ولا يخفي كذلك إعجابه بشخصية عرابي فهو في نظره قد توافرت فيه جميع صفات الزعيم شخصية جذابة، مؤثرة، تستطيع أن تجذب حولها الجماهير العريضة كان له تأثير السحر في نفوس سامعيه كما يصفه.

ورغم كل هذا لا يستطيع الرافعي إنكار أن عرابي نفسه حمل بعض السمات الشخصية التي ساعدت على فشل الثورة وسقوط مصر في الاحتلال، بسبب عدم كفاءته السياسية فهو لم يعلم نفسه بنفسه تعليما ناضجا، فقد تلقى في الأزهر بعض القشور الدينية وبعض المطالعات الأدبية مع كتابات الصحف في ذلك الحين وهذا المحصول لا يكفي لتكوين الرأس المدبر للثورات.

إن كان الرافعي يلتمس له بعض العذر في عدم كفاءته السياسية، لكنه يلومه أشد اللوم على غروره الذي جعله يقصي أصحاب الكفاءة السياسية، ظنًا منه أنه قادر على قيادة الأمر وحده.

يتابع الرافعي في كتابه ولو أنه عرف قدر نفسه واستعان برجل من معاصريه مثل شريف باشا قدير في شئون السياسة، لكان ممكناً أن تسير الثورة في سبيل النجاح إلى النهاية لكنه على العكس عمل على إقصاءه، فخسرت الثورة الرأس المفكر الذي كان يستطيع تفهم الملابسات السياسية وقيادة السفينة وسط الخضم الذي كانت تموج فيه.

بعد هزيمة عرابي في معركة التل الكبير اعتقل قادة الثورة وتم نفيهم خارج البلاد، وسقطت مصر في يد الإنجليز.

عدم الكفاءة الحربية

الثقة الزائدة قد تكون شيئا طبيعيا عند أي زعيم يلتف حوله الناس كبطل شعبي لكن الرافعي يعود ويقول أن هذه الثقة كانت تخفي وراءها الكثير من الضعف، فهو لم يكن على جانب من الكفاءة الحربية كذلك.

أنا أقوى من دولة فرنسا - الإنجليزي كالسمك إذا خرج من البحر هلك كلمات يقولها الرافعي عن عرابي الذي يقول أنها لا تشير إلا لغرور وجهل كبير، فهو لم يتلقَ تعليماً عسكرياً نظامياً ولم يتمرن على ضروب القتال قبل الثورة، ولم يتولى القيادة في المعارك الحاسمة التي نشبت بين المصريين والإنجليز، مثل معركة التل الكبير التي لم يشارك فيها لا قائداً ولا محارباً كما جاء في كتاب الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي.

سلامه موسى

وصفه المفكر سلامه موسى بقوله: ليس فى تاريخ مصر، منذ أكثر من ألفى سنة، من خدمها بروح الشرف والوطنية مثل عرابى.

دوافع الثورة: بين الظروف الواقعية ونظرية المؤامرة

في كتابه التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر، يذكر الكاتب الإنجليزي ألفريد سكاون بلنت، أن هناك بعض الشكوك المحيطة بمسألة السبب

الرئيس الداعي للمواجهة التي جرت ما بين أحمد عرابي والخديوي توفيق، وهي تلك المواجهة التي اعتاد المؤرخون أن يبدأوا بها تأريخهم لأحداث الثورة، حيث يذكر بلنت أن الأمر لم يُقصد به وقوع الصدام ما بين الجيش المصري والخديوي، بل كان في الحقيقة خطة مُدبرة بمعرفة توفيق نفسه، حتى يتمكن من اقصاء مراكز النفوذ التركية والشركسية المتحكمة في الدولة ولما كان الخديوي الشاب قد لمس العداء المبطن ما بين المصريين والأتراك في الجيش، فقد عمل على استغلال الوضع لصالحه، فأخبر عرابي ورفاقه على لسان علي فهمي رئيس الآلاي الأول لحرس الخديوي والمقرب من عرابي، أن رئيس النظار ووزير الجهادية عثمان رفقي يبيتان لهم الكيد، وأنهم إن لم يعملوا على إقصائهما من منصبيهما حاق بهم السوء، ولن يبخل الخديوي بمعاونتهم لأنه يعطف على مطالبهم.

غير أن الكثير من المؤرخين الذين اهتموا بالثورة العرابية، قد وقفوا موقفاً معارضاً من الرواية السابقة، فمثلاً يقول علي الخفيف في كتابه أحمد عرابي الزعيم المُفترى عليه، بعد أن يورد رواية المؤرخ الإنجليزي :وكذلك لم أقع على ذكر هذا الذي يُنسب إلى الخديوي فيما تناولته من الكتب التي عُنيت بتفاصيل الحركة العسكرية، ولعل بلنت ينفرد بهذه الرواية.

ويسوق الخفيف العديد من المسوغات والدوافع الموضوعية التي أدت إلى إشعال فتيل الثورة، فيقول إن توفيق قد ورث عن سلفه العديد من العوامل التي تؤدي إلى الثورة تلك التي راحت تحدوها وتمهِّد لها أقلام جمال الدين وتلاميذه حتى جاء عهد توفيق فرجفت الراجفة.

ويحاول الخفيف أن يبرز شمول وتنوع الثورة العرابية، وأنها لم تقتصر على الجانب العسكري فحسب، فيقول ما كانت الثورة العرابية حركة عسكرية فحسب كما يحلو لكثير من المؤرخين أن يصوروها عن عمد، أو عن غفلة، وأن الذين يفعلون ذلك منهم ليأتون من ضروب الخطأ ما نعجب كيف يحملون على قبوله أنفسهم وعقولهم، وإنما كانت الثورة العرابية إذا أردنا وصفها في جملة هي التقاء الحركتين الوطنية، والعسكرية، واندماجهما، فلما ذهب عرابي إلى الخديوي على رأس جنده في اليوم التاسع من سبتمبر سنة 1881 ذهب يحمل إليه مطالب الجيش ومطالب الأمة معًا، ومن ذلك الوقت صار سلاح الثورة السيف وقد كان سلاحها القلم، أو بعبارة أخرى حارت قيادتها بين السيف والقلم.

اللقاء الأكثر شهرة: بين عرابى والخديوي

من أشهر الصور النمطية التي خلفتها لنا الثورة العرابية ورائها، تلك الصورة التي تبين اللقاء الشهير ما بين عرابي والخديوي توفيق.

الصورة الشهيرة التي يظهر فيها الزعيم المصري ممتطياً صهوة جواده في إباء وشمم، وقد التف من حوله الجنود المصريون المصممون على استرداد حقوقهم المنهوبة، بينما وقف الخديوي في قبالتهم في غرور مصطنع وأمارات القلق والتوتر تبدو واضحة على ملامحه، مُحاطاً بأتباعه من الإنجليز والفرنسيين من ذوي الميول الاستعمارية والأطماع الكبرى في احتلال مصر ونهب ثرواتها.

تلك الصورة ارتبطت دائماً في عقول المصريين، بالمناظرة التي انعقدت ما بين عرابي والخديوي، والتي بدأت بسؤال الثاني للأول، عن السبب الذي جاء من أجله إلى ساحة قصر عابدين فيجيبه عرابي عندها بثبات وقوة: جئنا نعرض عليك طلبات الأمة والجيش العادلة، ثم يُفصّل هذه الطبات في ثلاثة مطالب محددة وهي: إقالة وزارة رياض باشا، وتنفيذ الدستور، ودعوة البرلمان للانعقاد، وزيادة عدد الجيش إلى 18 ألف جندي.

هنا تُظهر الروايات الخديوي وقد رد بعنجهية بأن تلك الطلبات لا حق لكم فيها، وأنه قد ورث ملك هذه البلاد عن آبائه وأجداده، وأن المصريين ليسوا سوى عبيد إحسانه، فيرد عليه عرابي قائلاً جملته المشهورة:

لقد خلقنا الله أحراراً، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً، فوالله الذي لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم.

بتلك الجملة الختامية يُسدل الستار على هذا المشهد الملحمي المؤثّر الذي طالما داعب مخيلات المصريين، في أوقات الثورات والمحن.

ولكن التحقيق العلمي الجاد، يبيّن أن الصورة السابقة كلها ليس لها أي شاهد تاريخي يؤكد على ثبوتها، وذلك أن المراجع التي تعرضت لأحداث الثورة العرابية، ومنها مذكرات أحمد شفيق باشا وكتاب البحر الزاخر في علوم دولة الأوائل والأواخر لمحمود فهمي باشا، تتفق جميعها على إغفال تلك القصة، وعدم الاشارة إليها من قريب أو بعيد، وذلك برغم أن بعض مؤلفي هذه الكتب كانوا من ضمن المشاركين في أحداث تلك الثورة أو من ضمن من عاصروا أحداثها.

<u>ولكن من أين أتت تلك القصة إذن؟</u>

في الواقع، إن المصدر التاريخي الوحيد الذي يذكر تلك القصة بكل تفاصيلها، هو مذكرات أحمد عرابي، المسماة كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية، التي قام عرابي بتدوينها أثناء قضائه فترة المنفى في جزيرة سيلان عقب فشل الثورة ومن هنا فإنه يحق لنا أن نشكك في تلك القصة وأن نعتبرها من نتاج التخيّلات والأماني التي داهمت عقل الزعيم المنفي في وحدته.

هكذا قيّم الزعماء والمفكرون ثورة عرابى

إذا كنا في المقاطع السابقة من تلك المقالة قد عرضنا لبعض الأحداث الخلافية، التي تباينت فيها أراء المؤرخين واعتقاداتهم، فإننا هنا نحاول أن نُعيد قراءة وتقييم الثورة العربية من خلال كتابات بعض الزعماء والمفكرين الذين شارك قسم منهم في بعض أحداثها، وعاصر القسم الأخر منهم مجرياتها وتأثروا بمآلاتها ونتائجها النهائية.

الشيخ محمد عبده، ذلك الشيخ الكبير والداعية الإصلاحي البارز، كان قد وقف ضد حركة عرابي في البداية، ولكنه سرعان ما أقحم في أحداثها ، فانضم إلى صف عرابي الذي انتظم فيه حينذاك أغلبية رجال الدين ورجال الطبقة الوسطى والمتعلمين.

محمد عبده، تم نفيه بعد إخفاق الحركة ودخول الإنجليز إلى مصر، لكنه عاد إلى وطنه بعد توسط عدد من أمراء الأسرة العلوية الحاكمة لدى المندوب السامي البريطاني على مصر حينذاك، اللورد كرومر.

الشيخ الأزهري بعد عودته، اعتاد أن ينتقد عرابي بقسوة في كتبه ومقالاته، وجرّده من كل لبوس للوطنية كان قد اتشح به إبان الثورة، وأظهر حركته كلها على كونها مجرد محاولة للمجد الشخصي ليس إلا.

ينقل علي الخفيف عن محمد عبده قوله في إحدى مقالاته واصفاً عرابي إنه لم يكن يطلب إصلاح حكومة أو تغيير رئيسها، فذلك مما كان يكبر على وهمه أن يتعالى إليه، وإنما الذي أحاط بفكره وملك جميع مقاصده هو الخوف على مركزه مع شدة البغضاء لمن كان معه من أمراء الشراكسة والمنافرة من عثمان باشا.

الزعيم مصطفى كامل، الذي حمل لواء الكفاح ضد الإنجليز في مطلع القرن العشرين، كان قد أعلن مراراً وتكراراً أن أحمد عرابي، هو المسؤول الأكبر عن دخول الإنجليز إلى مصر، حيث اعتبر أن حركته الطائشة قد قدمت مسوّغات مناسبة لانقضاض المستعمر البريطاني المتربص، ومما قاله في هذا السياق، ما ورد في مقاله المنشور في جريدة اللواء يوم 28 أيلول سبتمبر 1901م، حيث جاء فيه: عار أكبر وأشهر من عار، رجل تهور جباناً واندفع جاهلاً وساق أمته إلى مهواة الموت الأدبي والاستعباد الثقيل ثم فرّ هارباً من ميادين القتال.

المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي، الذي كان معجباً بالثورة العرابية وأرّخ لأحداثها في كتابه الشيّق الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، كان أول من لقب حركة عرابي بالثورة، حيث أشاد كثيراً بدور عرابي ورفاقه في مواجهة استبداد الخديوي لكنه على الرغم من كل تلك الاشادة والإعجاب ، وجد نفسه مضطراً في نهاية المطاف لانتقاد أحمد عرابي،

بسبب قيامه بالاستسلام للإنجليز، حيث قال الرافعي: لقد انتقدت في كتابي عن الحركة العرابية ما جري في التل الكبير من تجاوزات وأخذت على عرابي تسليمه سيفه للقائد البريطاني وكنت أتمنى لو أنه استشهد في المعركة، كما أخذت عليه موقفه الضعيف المتخاذل في المحاكمة.

الرافعي أيضاً، أشار في خاتمة كتابه إلى أن أحمد عرابي قد رجع مرة أخرى إلى مصر، بعد أن قدم التماساً ورجاء إلى السلطات الإنجليزية، وأنه لما عاد إلى القاهرة وجد المصريين قد ضاقوا بالاحتلال وسخطوا عليه، وأن عرابي لم يراع مشاعرهم، فطفق يتغنى بسياسات المحتل ويبدي إعجابه بأسلوب الحياة الإنجليزي وطرق الإدارة البريطانية.

ومن أهم المواقف التي تبيّن التغيير الكبير الذي طرأ على أفكار عرابي بعد رجوعه من المنفى، أنه قال في حديث لجريدة المقطم في عدد الثالث من أكتوبر 1901إنه لما وصل إلى السويس سأل الذين قابلوه بالسويس من أفراد أسرته صحيح أن السخرة ألغيت عندكم؟ فقالوا: نعم صحيح، قلت: والكرباج؟ قالوا: أبطل من زمن طويل، قلت: وكيف تُحصّل الأموال من الأهالي؟ قالوا: بالحق والعدل، وكل إنسان يعرف ما له وما عليه، فسألتهم وكيف الاستبداد في الأحكام الآن؟ فأجابوا أنه لم يبقَ للاستبداد أثر فكل شيء مقيّد بقانون ونظام، ولا خوف على محكوم من جور حاكم، لأن كل من له أو عليه قضايا يرفع ظلامته للمحاكم، فشكرت لله لأنه حقق

مناي وأراني قبل مماتي ما طالما كنت أتمناه لبلادي، وقد شاء الله أن يُنعم به على وطني لحكمة قضى ألا يتم ذلك على يدي، بل على يد الذين نازلناهم في ساحة القتال وكانوا لنا أعداء فصاروا لمصر خير الأصدقاء.

أما فيما يختص بي فإني لم أجد من الذين قاتلتهم غير معاملة الكرام الذين يستحق معروفهم الشكر وكرمهم الإكرام فإنهم حفظوا حياتي من الإعدام ولما بتُ وحيداً بذل قوم منهم المال لمساعدتي فكنت أستعين بمالهم في الدفاع عن نفسي.

كل تلك الكلمات، التي تتطاير من حروفها مشاعر تشي بمجاملة وتملق المحتل الأجنبي والإشادة بحسن صنيعه، جعلت أكثر الناس يغضبون من قائد الثورة المنتكسة ويحنقون عليه، فهاجمه كل من الرأي العام والصحافة، وهجاه كبار الشعراء، من أمثال صديقه السابق محمود سامي البارودي، وأمير الشعراء أحمد شوقي، حتى تُوفي عرابي في نهاية المطاف حزيناً وحيداً منبوذاً في 11 سبتمبر 1911، مخلّفاً من ورائه فصلاً جدلياً شائكاً من تاريخ الأمة المصرية الطويل.

<u>عرابى أول زعيم طالب بالدستور والبرلمان وإقامة الجمهورية!</u>

لقد صدر مئات وآلاف الكتب والأبحاث والدراسات عن الثورة العرابية منذ البداية وحتى النهاية وتضمنت آلاف القصص والتفاصيل السياسية

والعسكرية التى تراوحت بين الإشادة والهجوم لكن سطراً واحداً كتبه الأستاذ الكبير محمد زكى عبدالقادر يقول فيه: أهمية عرابى فى التاريخ القومى لمصر أنه أول زعيم فلاح رفع صوته فى شجاعة وجرأة ضد الحكام من الاتراك والشراكسة؟ وأول زعيم فى تاريخ مصر الحديث طالب بالدستور والبرلمان فدل على أنه من هذه الناحية رائد له قيمته واعتباره.

ومنذ هذا التاريخ وكل انتفاضة مصرية تلت بعد ذلك لم تهمل المطالبة بحكم الشورى والبرلمان.

نعم الدستور والبرلمان كانا على رأس مطالب الثورة العرابية بل إن أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد وهو من خصوم عرابى لم يجد بداً من الاعتراف قائلاً: لولا عرابى لم يكن الدستور.

ورغم عدد من الملاحظات التى يوردها المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى عن الثورة العرابية لكنه يؤكد على القول: تولى عرابى زعامة الجيش وزعامة الأمة فى فترة من أهم فترات التاريخ المصرى الحديث، فهو جدير بأن يوفى حقه من الدراسة والتدوين، وعندى أن لسيرته منذ تولى الزعامة مرحلتين: فالأولى هى المرحلة الموفقة فى تاريخ الثورة العرابية إذ ظفرت فيها الأمة بالنظام الدستورى وتقرير حقوقها السياسية وكان لعرابى الفضل الأول فى هذا الظفر القومى.

أما المرحلة الثانية التى يعنيها الأستاذ الرافعى فبدأت عقب تنحية شريف باشا حيث أخذت الثورة تتعثر فى خطاها.

فى زمن ملوك مصر وحكامها منذ فشل الثورة العرابية وحتى 23 يوليو 1952 كان الكلام عن أحمد عرابى جريمة والاشادة به خطيئة ومحاولة انصافه من المستحيلات.

لقد صادر الملك فاروق كتاب المؤرخ عبدالرحمن الرافعى وعنوانه الزعيم الثائر أحمد عرابى وأفرجت عنه الثورة بعد قيامها.

وقبل ثلاثة أسابيع من قيام ثورة 23 يوليو 1952كان الأستاذ عباس محمود العقاد قد صدر كتابه ضرب الاسكندرية فى 11 يوليو وقد اختار له العقاد هذا الاسم الغريب حتى لا تلتفت الرقابة الى محتواه عن الثورة العرابية لكنه صودر بعد ستة أيام فقط من طرحه فى الاسواق ولم تعد طباعته الا بعد ذلك.

ولعل ما أزعج الرقابة وقتها هو قول عباس العقاد بالحرف الواحد: سميت الثورة التى أعقبها الاحتلال البريطانى باسم الثورة العرابية نسبة الى زعيمها أحمد عرابى بطل الحرية والدستور فى عصره وهى تسمية صادقة وتسمية مطابقة لأن زعامة عرابى لتلك الثورة كانت من مشيئة

القدر التى لا محيد عنها فلا حيلة فيها لعرابى نفسه ولا لأحد من أشياعه وأتباعه.

ويضيف العقاد قائلا: لم يكن فى الجيش المصرى من هو أقدر من عرابى ولا أعرف منه بمطالبه وأحق منه بعرضها والدفاع عنها وكانت حالة الجيش فى ذلك العصر تلخص حالة الأمة المصرية فى جملتها.

وفى هذا السياق أيضا كان هناك الكاتب والمؤرخ الشهير الاستاذ محمود الخفيف صاحب أهم وأعمق كتاب عن الثورة العرابية وهو أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه الذى صدر عام 1947وبسبب ما احتواه من دفاع مجيد وصادق عن عرابى وثورته الديمقراطية تعرض لغضب الملك فاروق وغضب الإنجليز معاً عندما كشف خيانة الخديو توفيق للثورة وتحالفه مع الإنجليز ثم مؤامرة الإنجليز أنفسهم على مجريات الثورة.

يقول الأستاذ الخفيف:طالب عرابى بالدستور فكان فى طلبه هذا زعيم ثورة تقوم على أجل المبادئ التى شاعت فى أوروبا فى القرن التاسع عشر التى عدها المؤرخون والناس من أعظم خطوات البشرية صوب الرقى والكمال، فكيف يكون مع ذلك داعية فوضى واضطراب؟!

لقد كثرت فى أوروبا المواقف التى يشبهها فى معناها ومرماها هذا الموقف فسجلتها الشعوب فى ثبت مفاخرها وعدتها من أيامه المشهودة التى تمجد كل عام ذكراها.

وتم لعرابى وأنصاره ما أرادوا فى غير عنف يشوه حركتهم أو ينقص من جلالها كما يحدث فى أشباهها من الحركات.

لقد كان القصر أمام الجيش خلواً من أية قوة فروعيت حرمته أحسن مراعاة وروعى كذلك مقام الخديو فلم يخرج أمامه هذا الجندى الثائر عن طوره بل تمالك نفسه فترجل وأدى التحية وأغمد سيفه ثم ذهب بعد ذلك فأعرب له عن ولائه وشكره باسم الأمة إذا أجابها إلى ما طلبت على لسانه.

نعم كان عرابى يتحدث باسم الأمة!

لقد كان القناصل الأجانب فى مصر أول من أشار إلى هذه الحقيقة ويكتب قنصل النمسا إلى حكومته قائلاً: الثورة ليست عسكرية بل إنها ثورة شعبية.

ويؤكد قنصل فرنسا: أن عرابى هو رأس تلك الأمة وأن توفيق الخديو نكرة ولا وزن له! وأن ما حدث هو حركة وطنية وثورة سلمية.

أما اللورد كرومر الاستعمارى العتيد فيقول: إن جنود عرابى كانت قوة وطنية من أبناء تلك الأرض التى تعمل على التخلص من العدو الأجنبى.

أما الاخطر فهو اعتراف كرومر بإنشاء دولة عربية فى مصر أو الشام تقوم على مثل تلك الأسس الدستورية من شأنه أن يؤدى إلى تعرض الدولة لتلك السياسة التى تقضى عليها ولذا كان كل اقتراح من هذا النوع عن الدستور المصرى يقاوم بمنتهى الشدة!

ويكتب يعقوب صنوع اليهودى فى مجلته الشهيرة أبونضارة التى ناصرت وأيدت عرابى فيقول: أقدم الليث عرابى ـ نائب الجيش ومن خلفه الوغى وأشبال القتال يريدون قهر دولة الاستبداد ورد صولة الفساد وإحياء الوطن بالحرية وهيئة شورية من الشورى فراغ لهم المستبد الأكبر الخديو توفيق المفسد الأول روغان الثعلب وانخفض لديهم انخفاض رأس الأرنب.

ويضيف يعقوب صنوع فى صراحة وجرأة: تبين لى أن أفكار جمهور من الوطنيين خلع الأمة للحاكم أعنى الخديو وقومه وجعل مصر حكومة جمهورية تجرى بمقتضى قانون الجمهوريات الحرة وتنتزع عموم الأجانب من دوائر حكومتها وتستمر فى اصلاح شئونها إننا نرى المصريين اليوم يجمعهم قول واحد وهو خلع الخديو الحالى.

وهو نفس ما أكدته السفارة الانجليزية فى تقرير لها فى أول يونيو 1882 بقولها: مازال الخطر ماثلاً بقيام انقلاب عسكرى ويشير تقرير آخر إلى القول يصح أن يقال أن عرابى بك هو فى واقع الأمر الحاكم للبلاد ان كل الأهالى مع عرابى بك منذ عاد إلى السلطة.

ولم تكن الولايات المتحدة بعيدة عن أحداث مصر كان قنصل أمريكا فى مصر وقتها هو سيمون وولف وكان من الأصدقاء الحميمين إلى عرابى وفى نوفمبر سنة 1881 كتب تقريراً إلى الإدارة الأمريكية جاء فيه قوله إن القائمقام أحمد عرابى وطنى متطرف ويميل إلى استخدام العنف عند الضرورة ليخلص مصر من الأجانب.

المنفى والوفاة

بعد دخول الإنجليز القاهرة، عاد الخديوي إلى قصر عابدين في 25 سبتمبر 1882، وكان عرابي محتجزًا مع كبار قادته وفي مقدمتهم نائبه طلبة باشا، في ثكنات العباسية، حتى انعقدت محاكمته في 3 ديسمبر 1882 وقضت بإعدامه، ثم تقرر تخفيف الحكم إلى النفي لجزيرة سيلان (سريلانكا) حالياً استقل عرابي ورفاقه السفينة وغادروا البلاد وكان برفقته عبد الله النديم ومحمود سامي البارودي، واستقروا في مدينة كولومبو لمدة 7 سنوات، بعد ذلك نقل أحمد عرابي ومحمود سامي البارودي إلى مدينة كاندي،وبعد صدور عفو من الخديوى عباس حلمى

الثانى عاد أحمد عرابي لمصر واستقر بها حتى توفى فى 11سبتمبر 1911 لتنتهى رحلة نضاله الطويلة من أجل الوطن .